

الوصف عند شعراء باكستان (المشاعر والشعار الإسلامية خاصة)

حامد أشرف همداني*

مفهوم الوصف:

الوصف لغة: وصفه يصف وصفاً وصفةً والهاء هذه عوض عن الواو وقيل الوصف مصدر والصفة الحالية (١).

وقال صاحب لسان العرب:

الوصف ، وصفك الشيء بحليته ونعته وقوله عزوجل (٢) وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون (٢) أراد ما تصفونه من الكذب (٣).

وقال صاحب القاموس الوفي:

"(و ص ف) وصف الشيء وصفاً وصفة: نعته بما فيه. وصف المهر والناقة ونحوهما وصفاً

ووصوفاً أجادا السير وجذا فيه. والطيب الدواء: عيّنه باسمه ومقداره والخبر: حكاه والتوب

الجسم: أظهر حاله وبين هيئته" (٤)

ومنه اتصف أي صار موصوفاً أو صار متراصفاً. كما في قول طرقه:

إني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحداقي اتصفـا (٥)

اتصفـا: أي صار موصوفاً بحسن الجوار.

أما الوصف اصطلاحاً: فهو الكشف والإظهار (٦).

وقال القدماء في تعريفه:

هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات (٧).

والوصف عند الجرجاني هو عبارة عمادـاً على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أي يدل

على الذات بصفة كأحمر. فإنه بجوهر حروفه يدلـ على معنى مقصود وهو الحمرة (٨).

وقد ذكر أحمد الهاشمي تعريفاً جاماً للوصف بقوله :

"الوصف، هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لحضاره في ذهن السامع كأنه

يراه أو يشعره" (٩)

*أستاذ مشارك بالقسم العربي، جامعة بنجاب، لاہور.

الوصف بين الأغراض الشعرية الأخرى:

يميل الإنسان إلى أن ينقل صورة ما يحبه ويكرهه بطريقة وصفية، حينما يشاهد في الدنيا هذه كثيراً من الأشياء المتنوعة الألوان والماهيات قد يعجب ببعضها ويكره بعضها الأخرى كما أن كثيراً منها تثير في قلوبه من شئ العواطف مثل عاطفة الحب وعاطفة النشوة والذهول ووصف جوانبها المعجبة وقد يكون الكشف في صورة نقش أورسم أو في صورة نثر أو شعر حسب تابين أهل المشاهدة.

والشاعر العربي كان من هؤلاء العباقرة الإنسانيين فرسم مارأى وصور ما شاهد ووصف ما أحاس فترك في المتحف الأدبي صفحات خالدة على اختلاف العصور ونقل الصوت والحركة والنشاط ورسم الحديث واللون والظل سواء كان في رسم الطبيعة أو في تصوير الإنسان والحيوان أو في وصف الأخلاق والطبع والعادات. لعله سار فيه على أنه وصف حسي مادي، في مدحه للرجال أو هجائه للخصوم أو فخره بقوته وشجاعته أو رثائه للأحبة الذين يفقدهم، أو في نسيبه وتشبيه بالمرأة والجمال (١٠) -

فلما عرض النقاد القدماء لهذا الشعر، قسموه إلى أبواب فيها المديح والفخر والهجاء والرثاء والتسب والوصف، ورأوا أن الوصف يغلب عليها جميماً ويشملها برداه حتى قال ابن رشيق: "إن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف" (١١)

وقد جعلوا الأبواب الخمسة للإنسان تصف أخلاقه وطباعه ومزاياه ومحاسنه وخلقه وتكوينه وخصوا الوصف بالحيوان والآيات والسماء والماء والنار فأدخلوا الخمر فيها على أنها بعض هذه الأجزاء (١٢) -
ومع الأيام تفرع الوصف أبواباً في الشعر فأصبح وصف النساء غزلاً ووصف الخمر خمريات ووصف الصيد طرداً وهكذا إذا قلنا نحن اليوم "الوصف" عنينا الوصف المطلق أو وصف الطبيعة بما فيها من حياة: نبات وحيوان أو من موات كالجبال والأنهار والنجوم والأودية والشياط والهياكل وما سوى ذلك (١٣).

أشهر الوصافيين في تاريخ الأدب العربي:

ومن أشهر الوصافيين في تاريخ الأدب العربي جاهليه وإسلاماً فهم وإن كانوا يجيدون أكثر الأوصاف لكنهم اشتهروا بأنواع غلت عليهم الإجاده فيها، فاشتهر من نعمات الخيل أمرؤ القيس وأبوداؤد وطفيل الغنوبي والنابغة الجعدي ومن نعمات الإبل طرفة وأوس بن حجر وكمب بن زهير والشماخ.

وأما الخمر فمن أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نواس واشتهر أبو نواس وابن المعتز أيضاً بوصف الصيد والطرد ولا يذكر مع أمرؤ القيس في منزلته من اخترع التشبيه إلا ابن المعتز وكان ذوالرمة أوصف الناس لرملي وهاجرة وماء وقراد وحية وهو رئيس المشبهين الإسلاميين.

وقد اشتهر بوصف الطبيعة الوحشية أيضاً عبيد بن أبيوب العنبري. واشتهر كشاجم باللات المنادمة

والصنوبري بالروضيات وابن خفاجة الأندلسي بأوصاف الطبيعة الحضرية وابن حمديس الصقلاني بأوصاف البرك والمياه والأنهار (١٤) -

الوصف في الشعر العربي:

لاشك أنَّ الشاعر يستمدَّ مواضيعه من طبيعة بيته يتأثر بها ويؤثر فيها محاولاً أبداً أن يعبر عن تأثيره وتأثره حتى كان شعره لوحات منقولة بدقة وبراعة عن البيئة التي يعايشها.

ومن هذا القبيل فإنَّ الشعر الجاهلي سجل واضح جليٌّ تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية كأنها تجري في حقيقة الواقع وليس توصف في الحروف والألفاظ عبر الذهن فهو يضعنا وجهاً لوجه أمام معالمها كأننا نعيش في قلبهما وجاء شعرهم صورة واضحة أو سجلاً دقيقاً لمعالم حياتهم يتناولون في الطبيعة الساكنة كالرماد والجال والصحراء والوديان والطبيعة الحية المتحرّكة كاً لإنسان والحيوان وخاصة ما اشتمل عليه بيتهم من جياد وإبل ونعمان وغزلان وحمر وحشية.

فالشعراء الجاهليون لم يدعوا حيواناً أو مشهداً دون أن يصوروه فقد وصفوا الأرض التي عاشوا عليها من وهاد وتلول وصحاري ورياض وبرك وشجر وثمر والحيوان الذي كان يدب بينهم والقصور التي كانوا يشدونها ومجالس الشراب التي كانوا يعقدونها والحروب التي كانوا يخوضونها. (١٥)

ونرى معالم كل عصر من العصور الأدبية المختلفة جليّة في شعر كل عصر بدءاً من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وعندما نرجع إلى الشعر العربي الباكستاني، فنرى أن أكثر الذين قرؤوا الشعرهم من العلماء الذين تخرجوا من المدارس والجامعات الدينية وهؤلاء كتبوا وألفوا كثيراً من الكتب بجوار ما قالوه من الشعر فلم يكن الشعر هو الصنعة الوحيدة التي تغنوا بها واعتمدوا عليها في تفكيرهم وكتاباتهم فنرى في شعرهم وصف الكتب والمدارس الدينية كثيراً لأنَّ المدارس الدينية كانوا يسكنونها فوصفوها وبينوا خدماتها الجليلة في نشر العلوم العربية والإسلامية، وأما الكتب فكانوا يدرسونها صباحاً ومساءً ولما أعجبوا بكتاب واستحسنوه وصفوه وبينوا العلوم والمعارف التي شملها.

ووصف بعضهم الواقع والحوادث من التاريخ الإسلامي كوقعة كربلا والإسراء والمعراج والحروب المختلفة بين بلاد الكفر والإسلام لإخبار المسلمين عن تاريخهم ووصف الشهور الإسلامية مثل رمضان وشعان مع بيان فضائلها لحث الناس على الطاعة والعبادة.

ومنهم من سافر للحج فوصف ما رأى من كيفية الحج ومناسكه، ومع ذلك وجدنا وصف الطبيعة أيضاً في الشعر العربي الباكستاني فالشعراء الباكستانيون وصفوا فصل الربيع والشمس والليل والرياح المختلفة. وفيما يلى نقدم نماذج شعرية لشعراء باكستان في صدد الوصف فمن موضوعات شعر الوصف عندهم :

١- وصف أدوات العلم من الكتاب والقلم:

أما الكتاب فهو أهم أدوات العلم ووصف كثير من الشعراء الباكستانيين الكتاب، فنرى بعضهم يصف كتاب الله المجيد ونرى بعضهم يعجب بكتاب خاص استحسنوه صفة وبين العلوم والمعارف التي شملها. فمن وصف القرآن الكريم مقالة الشيخ أصغر علي الروحي .

بـآيات فـهـنـ لـنـا الشـفـاء
عـجـابـهـا فـلـيـسـ لـهـا اـنـقـضـاء
وـلـفـي جـزـمـ مـعـنـاهـ اـرـتـيـاء
تـجـلـىـ مـنـهـ نـورـأـوـضـيـاء
تـجـدـهـا فـوـقـ مـاـبـلـغـ العـلـاءـ (١٦)

كتـابـ نـاطـقـ بـالـوـحـيـ حـقاـ
بـأـلـفـاظـ تـنـاوـبـهـاـ الـمـعـانـيـ
كتـابـ لـاـيـدـاخـلـهـ اـرـتـيـابـ
كتـابـ قـدـبـدـاـشـمـسـأـوـبـدـرـاـ
تـأـمـلـ فـيـ الـغـوـامـضـ وـالـمـزـاـيـاـ
وقـالـ الشـيـخـ مـحـمـدـ يـوسـفـ الـبـنـوريـ فـيـ وـصـفـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ أـيـضاـ.

دـامـتـ لـنـا رـوـضـةـ مـخـضـرـةـ أـنـفـاـ
قـدـنـظـمـتـ درـأـ لـاـتـرـجـيـ لـطـفـاـ
آـيـاتـهـ أـنـجـمـ تـهـدـيـ الـوـرـىـ طـرـفـاـ
دـقـتـ لـطـائـفـهـاـ وـهـيـ الزـلـالـ صـفـاـ
تـهـدـيـكـ نـورـأـمـيـنـاـ لـلـقـلـوبـ شـفـاـ
وـالـعـيـنـ إـذـ بـعـتـ وـالـصـوـبـ إـذـ وـطـفـاـ
بـحـرـ الـعـلـومـ كـمـوجـ الـبـحـرـ مـاـنـشـفـاـ
أـوـلـاـكـ دـرـأـثـمـيـنـاـ غـالـيـاـ تـحـفـاـ
فـكـلـ مـنـ يـدـعـيـهـاـ بـعـدـنـكـفـاـ
بـهـ أـنـالـرـضـاـمـنـ رـبـنـاـوـكـفـيـ (١٧)

مـحـمـدـ جـاءـ بـالـقـرـآنـ مـعـجـزـةـ
آـيـاتـهـ بـيـنـاتـ الـحـقـ قـاطـعـةـ
أـحـكـامـ الـغـرـ أـضـحـتـ لـلـضـلـالـ هـدـيـ
أـلـفـاظـهـ نـسـقـتـ درـ منـضـدةـ
فـاقـتـ حـقـائـقـهـاـ رـاقـتـ دـقـائـقـهـاـ
كـالـنـجـمـ إـذـ لـمـعـتـ وـالـشـمـسـ إـذـ سـطـعـتـ
سـامـتـ مـعـارـفـهـ عـزـتـ عـوـارـفـهـ
بـحـرـ عـظـيمـ إـذـ مـاـغـصـتـهـ نـظـراـ
فـاقـتـ بـلـاغـتـهـ أـعـلـىـ ذـرـىـ قـلـلـهـ
إـنـيـ أـقـولـ وـخـيـرـ الـقـوـلـ أـحـسـنـهـ

ولفت بعض الكتب أنظار الشعراء الباكستانيين فأعجبوا بها ووصفوها في شعرهم فها هو الدكتور ضياء الحق الصوفي يقول في وصف "كتاب المعرف" لابن قتيبة

خـرـزانـةـ عـلـمـ لأـهـلـ الأـدـبـ
لـنـفـسـ اـمـرـئـ فـيـهـ كـنـزـ الـطـربـ
عـلـىـ طـالـبـ الـعـلـمـ فـيـ مـاـوـجـبـ
سـبـائـكـ مـنـ فـضـةـ أوـ ذـهـبـ

كتـابـ الـمـعـارـفـ لـابـنـ قـتـيبةـ
فـيـهـ النـوـادـرـ مـجـمـوعـةـ
غـنـيـ فـيـهـ عـنـ كـتـبـ ضـخـمـةـ
مـعـارـفـ شـتـىـ بـطـيـاتـهـ

لتحقيق شيء ونال النصب
بمضمونه لذوباته الطلب
بأخبار تاريخ ملك العرب
تجده في ماتبتغي والأدب
قليل كفى من كثير التعب
على صغر الحجم ياللعجب (١٨)

ووصف الدكتور لطافت الرحمن السواتي كتاب "علوم القرآن" للشيخ شمس الحق الأفغاني:
على أفق القرآن من كل جانب
وفي كل سطر منه علم العجائب
معارف شمس الحق السحائب
وشرح كلام الله جل المطالب
لأهل الهوى من كل أهل الأكاذب (١٩)

فقد للي الذي لم يزل كادحاً
ألا لاتته في ظلام العمى
إذا كنت تطلب علمًا يقيناً
عليك بتفتيش أوراقه
 وإن قل جماماً ولكن
مبينة فيه كل العلوم
الا إن هذا الشمس علم تلؤات
كتاب ونبراس نور وحكمة
فإن أنت تشهي أن تفوز ففز به
له علم أسلاف وتدبير خالف
به تدفع الزيغ الذي شاع عندنا

وفي هذا الصدد نكتفي بالإحاللة فقط إلى قصائد أخرى في وصف بعض الكتب خشية الإطالة فمنها قصيدة
الأستاذ السيد كبير أحمد مظہر في وصف كتاب جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني (٢٠)
وقصائد الشيخ محمد يوسف البنوري في وصف كتاب "فيض الباري في شرح صحيح البخاري". للشيخ أنور
شاه الكشميري (٢١). و "الروض الأنف" (٢٢). و "معارف السنن" (٢٣). وللشيخ محمد إدريس الكاندھلوی
قصيدة في وصف صحيح البخاري (٢٤) وللدكتور ضياء الحق الصوفی قصيدة أخرى في وصف كتاب "تمثال
الأمثال" لجمال الدين الشیبی العبدري (٢٥).

والقلم من أدوات العلم التي اتخذها شعراء باكستان بالعربية موضوعاً للوصف . فقد جادت قربحة
الشاعر محمد ناظم الندوی بالأبيات التالية في وصف القلم حين أهداه إليه أستاذہ الجليل السيد سليمان
الندوی وقد سافر إلى حیدر آباد دکن (الهند) وكانت يومئذ ذات استقلال داخلي وجاء بقلم مكتوب عليه اسم
تلמידه وسنة صنع القلم - :

قل مما رشيقاً من دکن
شقأ من القد الحسن
من يتغى الذكر الحسن
من ماجد حجر الزمن

أهدى إلى سيد
أغلى من اللؤلؤ وأر
هو خير ما يهدى إلى
يا حبذا تلك العلي

كِمْ مَعْدُمْ نَسَالْ بَه
كِمْ صَاغِرْ عَزَّ بَه
كِمْ مَفْحَمْ أَلْقَى بَه
كِمْ خَامِلْ يَسْمُو بَه
قَسْمَاً بَهْ وَبِمَجْدَه
تَفْرِي الْأَمْوَرْ بِحَدَّه
يَرْقَى الْلَّدِيعْ بِنَفْشَه
يَسْقِي الْجَدِيبْ بِنَبْعَه
سِيفْ صَقِيلْ فِي الرَّوْغَى
مَا لَأَعْظَمْ مَا فِي الْمَحْن
وَنَسَالْ مَجْدًا بِالْوَطَن
خَطْبَاتْ سَجْبَانْ اللَّسْن
فِي ظَلِيلْ يَعْرُفْ بِالْعَلْن
إِلَى إِلَّاهِ ذُو الْمَنْن
وَلِمَجْدَه يَعْنُو الْزَّمْن
فِيهِ بَ يَمْشِي مِنْ وَسْن
فَإِذَا بَ رَوْضَ أَغْنَ
مَوْتَ ذَرِيعَ بِالْرَّسْنَ (٢٦)

٢- وصف الجامعات والمدارس الدينية:

ومن موضوعات الوصف عند شعراء باكستان بالعربية وصف المدارس الدينية والجامعات التي لها دور عظيم في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية وترويجها في هذه البلاد في عصر الاستعمار البريطاني وبعد استقلال باكستان.

فقال عبدالعزيز الميمن يصف جامعة علي كره الإسلامية:

وَمَصْبَحَهَا فِي ظَلِيلِ أَمْنٍ وَمَمْسَاهَا	سَلَامٌ عَلَى خَيْرِ الْبَقَاعِ عَلَى كَرِ
يَجْدُدُ فِي قَلْبِي عَلَى الدَّهْرِ ذَكْرَاهَا	سَلَامٌ عَلَيْهَا، إِنْ طَيْبَ نَسِيمَهَا
يُشَهِّي إِلَى قَلْبِي هُوَ رَحِّ مُثْوَاهَا	وَمَالِي لِأَصْبُو؟ وَطَيْبُ تَرَابَهَا
وَرَوْضَتَهَا الْفَنَاءِ يَحْظِي بِرِيَاهَا	وَرَحْبَتَهَا الْفَسَحَاءِ يَشْرُقُ جَوَاهِهَا
لَتَادِيبِ نَاسِيَهَا قَدْ أَسَسَ تَقوَاهَا	عَلَى أَنَّهَا بِالْهَنْدِ أَوَّلَ مَعْهَدٍ
تَجَرَّدَ فِي نَشَرِ الْمَعَارِفِ مَسْعَاهَا	وَفِيَانِ صَدَقَ لَا يَمْلِ حَدِيثَهُمْ
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ أَشْبَاهَا	تَرَاهَا بَزِيَّ وَاحِدَ فَتَظَاهِهَا
فَأَجْرَوْا عِيُونَأَلِلْعُلُومِ وَأَمْوَاهَا	تَخْرُجَ خَصِيصُونَ مِنْهَا بِسَبَقِهِمْ
مِنَ السَّبِيلِ سَبِيلَ السَّالِكِينَ لِأَهْدَاهَا (٢٧)	وَصَارُوا هَدَةً قَادَةً لِبَلَادَنَا

ووصف الشيخ لطافت الرحمن السواني الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند وذكر خدماتها الجليلة في نشر علوم الدين فقال:

دِيوبَنْدُ أَكْبَرُ مَرْكَزُ لِجَهَادِ
فَفَوْقَتْ لِشَرَافَةِ بِلَادِ

بكرامة وشهامة وسعادة
قد خصها ملك الورى بمكارم
يعظيم نعمته إقامة دينه
وادتقديس بل تعظيم حرمته
فهناك ينبوع المعارف قد جرى
لابل هو البحر الخضم تموجا
فالعلم شاع وذاع كل مواطن
ديوبند مرکز علم دین المصطفى
بين البقاع تلالها ووهاد
وعوارف وعواطف وأيادي
بناء مدرسة بذاك الوادي
اختير لتعليم والإرشاد
بزلالله يشفى غليل الصادي
أمواجـه سامت إلى أنجاد
في الأرض من ديوبند ذات عماد
والعروة الوثقى لدى إسناد (٢٨)

وفيما يلي بعض أبيات من قصيدة الشيخ محمد يوسف البوري في وصف الجامعة الإسلامية بدابيل بلدة

كجرات:

فجامعة الإسلامي فيها جمعها
فهذى مغاني العلم راقت ربوعها
حدائق فيها القلوب نجوعها
وآلـت بنور قد أنار صديعها
فيرتاح فيها شيخها ورضيعها
فعادت رياضـاً رجـها ووسـعـها
فاضـحت ويزهـو ربـها وبـقيـعـها
في خضرـ منها سـهلـها وربـوعـها
وـقرـت عـيونـ حينـ تـهمـيـ دـمـوعـها
ومـرـعاـةـ خـصـبـ لاـيـعـدـ قـطـيعـها
واـشـرقـ فـيـ سـرـالـقلـوبـ طـلـوعـها
فـمـنـهاـ مـجاـريـهاـ وـمـنـهاـ نـبـوعـهاـ (٢٩)

فدع عنك ليلـ ثمـ سـعدـ وـهـنـدهـمـ
ودع ذـكـرـ سـلمـيـ أوـحـدـيـثـ سـعادـهـمـ
ونـادـتـنـيـ الأـشـواقـ مـهـلاـفـهـذهـ
أـلـيـالـكـجـراتـ تـضـوعـ طـيـهـاـ
تلـأـلـأـ نـورـ الـحـقـ فـيـ وـسـطـ قـاعـهـاـ
وـكـانـتـ بـقـاعـاـ أـجـدبـتـ منـ طـوارـقـ
وهـذـىـ دـيـارـكـنـ مـظـلـمـةـ الرـجاـ
فـجـامـعـةـ الـإـسـلـامـ تـهـطلـ مـزـنـهـاـ
فـقـرـتـ قـلـوبـ كـانـ جـمـاـ وـجـيـهـاـ
فـهـاهـيـ دـارـ لـلـعـلـومـ رـفـيـعـةـ
هـيـ الشـمـسـ أـبـدـيـ رـونـقـ الـعـلـمـ نـورـهـاـ
وـكـمـ مـنـ يـنـابـيعـ الرـشـادـ تـزـورـهـاـ

وهناك قصائد أخرى في وصف المدارس وإبراز دورها في المجتمع الباكستاني منها قصيدة لمحمد
أمجاد علي في وصف مدرسة النهضة في "أبوظبى" (٣٠) وقصيدة للشاعر الباكستاني الآخر عبد اللطيف
الحصيري (٣١) وقصيدة للمفتى محمد شفيع في وصف دار العلوم الديوبندية (٣٢) وقصيدة لأصغر علي الروحي
في وصف المدرسة العمانية بlahor (٣٣) وله قصيدة أخرى في وصف مدرسة قاسم العلوم بlahor والتي بناها
الشيخ أحمد على اللاهوري مؤسس جمعية خدام الدين (٣٤).

٣- وصف الأماكن والبلاد:

ومن موضوعات الوصف عند الشعراء الباكستانيين وصف المدن المختلفة فقال الدكتور محمد جميل قلندر في وصف مدينة دمشق، عاصمة سوريا وبالغ في وصفها وشبها برياض الجنة.

تذيب شمع كياني الوصي	بطيب وعذف ولون زهي
تفيض ثراك أي جنتي	بخمر ودر وشهد صافي
فتحت رياحين روح الشجي	بروح وراح وريح ندي
يطوفون في كل مقهى زهي	فطوبى لغلمانك الحالدين
وطشت مليئ بلحم طري	بكأس دهاق من السليسيل
فشرب لذيد وأكل شهي	وصحن من الفول والحمص
هنيأ مريناً أكلي واشربي	فأهلاؤ سهلاً أيام ريمى
وفي ناقة اللـَّـ ثم ارتعى	إذا مامرت بروض الجنان
في أرض نبعك لابلمي	بعزف ورقص يموج البهاء
رُويـداً روـيداً ولا تقلـعـي	لا ياسماء امطري بالغناء
بهـنـدامـهـنـ تـزانـالـحلـيـ	وطوبى لحوراتك في الخيام
فـهـلـ أـنـتـ تـأـوـيلـ رـؤـيـاـالـنبـيـ	فيـارـوضـةـ منـ رـيـاضـ الـبـهـاءـ
عـلـىـ شـاشـةـ الرـوـحـ قدـ تـرـتـمـيـ	لـقـدـ صـرـتـ حـلـمـاـ وـمـنـكـ الصـورـ
فـذـكـرـاكـ منـ قـلـبـيـ لـاتـنـمـيـ	ولـوـغـابـ عنـ نـاظـرـيـ منـظـرـكـ
فـذـاكـ الـذـيـ يـجـهـلـ مـنـطـقـيـ	فـوـيلـ لـمـنـ لـابـرـىـ مـأـرـىـ

ووصف عبدالسلام سليم مدينة "جدة" يشكو حرها فقال:

ونـشـربـ مـاءـ النـارـ فـيـ كـلـ هـوـةـ	نـمـوتـ مـنـ الـحرـ الشـدـيدـ بـجـدةـ
لـقـدـ أـقـعـتـنـاـ جـلـةـ بـصـعـوبـةـ	وـكـنـاهـنـيـ العـيـشـ فـيـ أـمـ القرـىـ
وـنـمـسـيـ كـذـلـكـ مـنـ عـرـوقـ حـرـارـةـ	وـنـصـبـحـ مـغـسـولـينـ مـنـ طـلـ السـمـآـ
وـنـقـعـدـ طـوـلـ الـيـوـمـ فـيـ جـوـفـ خـلـوـةـ	نـيـتـ بـأـقـ بـعـدـ أـقـ مـسـلـلـ
بـفـيـضـانـ أـجـفـانـ عـلـىـ سـلـبـ رـاحـةـ	عـلـىـ كـلـ حـالـ هـنـاـنـتـ أـسـفـ
فـمـتـنـاـ إـلـهـيـ مـنـ حـرـارـةـ جـلـةـ	وـلـمـادـخـلـنـاـ جـلـةـ بـعـدـ رـاحـةـ
عـلـىـ بـنـتـ رـيـحـ عـمـةـ السـيـارـةـ	أـكـلـنـاهـوـاءـ بـارـدـأـفـيـ طـرـيقـنـاـ

وتفضلي وتمنن وفكاهة
فنعطيك من هذى القروش عشرة
ويحرق أمعاء بكل سريرة
نذيب قلوبًا بعد إعطاء قيمة (٣٦)

نقول لقهوى بعين تلطّف
إذا أنت تسقينا من الماء بارد
فيعطي لنا ماء يقطع حشونا
فوالله هذا من عجيب عجائب

وقال الدكتور بير محمد حسن يصف أرض القشير:

وياجبّاً أزهارها وقصورها
فيحسن أشجار وحسن طيورها
كريم المحيّا باسم الشغر خيرها
سرى ذكر أرض القاشمير ودورها
علوماً أثار الخاففين سفورها (٣٧)

أيا حبّاً أرض القشير وروضها
مياه عذاب قد أحاطت بأرضها
وياجبّاً إذا أنيجت بسميدع
هوا لأنور البحر الفطين الذي به
تقى نقى خاشع ثمّ تقن

وقد اتخذ بعض الشعراء الباكستانيين وصف بعض المباني والمطاعم الشهيرة موضوعاً لشعرهم خلال وصفهم للأماكن والبلاد فنرى محمد ناظم الندوى يصف "تاج محل" في مدينة آكره بالهند وهو القصر الجميل الرائع المبني من رخام أبيض، المطل على نهر جمنا، الذي بناه الملك شاهجهان تذكاراً لحليته وحياته وقديرأ لها ووفاء بحبها - وإنها مدفونة في وسط قاعته الكبرى فيقول:

هو بسمة تعلو على ثغر الزمان
أو درة تلمع في جيد الحسان
متائق في صنعه ومفصل
براعة في نحته أو يرسم
في خاتم الأرض يرroc ويملع
يحار من يرنو إليه حيرة
متوسماً حيران يلمس جبه
أكبرته وقلت: أجمل درة
أوفضة بضاء قاماً قوامه
وتبرعت له ببعض جلالها
وبحسنهـا ولاءـها وبفضـلـها
ويخلـقـها وبراءـها وبنـلـها
بذـكـاءـها ووفـاءـها وجـمالـها (٣٨)

للـهـ دـرـ ماـ بـنـاهـ شـاهـ جـهـانـ
أـوـ زـهـرـةـ بـيـضـاءـ تـزـهـرـ فـيـ الـجـانـ
أـوـ دـمـيـةـ مـنـ مـرـمـرـ لـمـمـلـ
صـنـعـ يـكـادـ فـنـهـ يـتـكـلـمـ
وـكـأـنـهـ فـصـ جـمـيلـ أـرـوعـ
هـوـ مـاسـةـ حـجـرـأـ وـزـهـرـ رـوـعـةـ
وـيـرـوـعـ مـنـظـرـهـ وـيـخـلـبـ لـبـهـ
وـإـذـ انـظـرـتـ إـلـيـهـ أـوـلـ نـظـرـةـ
وـتـقـولـ: صـيـغـ مـنـ الضـيـاءـ رـخـامـهـ
كـأـنـ مـنـ فـيـهـ كـسـتـهـ جـمـالـهـاـ
حـسـنـاءـ لـأـ رـتـاحـ الـجـيـبـ بـعـقـلـهـاـ
رـوـعـاءـ قـدـهـامـ الـمـلـيـكـ بـفـضـلـهـاـ
غـرـاءـ قـدـمـلـكـتـ فـؤـادـ حـلـيلـهـاـ

وللدكتور محمد جميل قلندر قصيدة في وصف "مطعم على بابا" في دمشق.

أنا جالس

بكروبي من الخشب الذي أensi

لساناً ينطق بالشكل والمعنى

بفن الجنة الدنيا

ذكاء الأيدي والأبصار قد ألفى

بأحجار وخشبات

ذمـيـنـ مـقـيـدـةـ فـأـطـلـقـهـاـ

وأـبـرـزـهـاـ وـزـيـنـهـاـ بـأـلـوـانـ

وـأـهـدـاهـاـ لـمـطـعـنـاـ عـلـيـ بـابـاـ

جـبـيلـ الـمـنـ وـالـسـلـوـيـ

وـكـلـ مـلـصـوصـ فـيـ مـغـارـتـهـ

لـقـدـ صـارـ بـسـحـرـ الـفـنـ تـمـثـالـاـ

وـلـكـنـ لـمـ يـزـلـ حـيـاـ وـمـحـتـالـاـ

فـيـرـ قـبـنـاـ كـمـنـ يـحـرـسـ مـطـعـنـاـ

أـلـاـ يـأـيـهـاـ الـمـطـعـمـ

لـرـوـحـيـ فـيـكـ أـوقـاتـ فـلـنـ أـسـىـ

قـرـىـ فـرـدـوـسـ الـأـبـهـىـ (٣٩)

وللدكتور جميل قصيدة أخرى في وصف "مطعم المروش" في بيروت (٤٠)

٤- وصف الواقع والحوادث:

ومن موضوعات الوصف عند شعراء باكستان وصف الواقع والحوادث من التاريخ الإسلامي فمن تلك الأحداث والواقع التي رسمها شعراء باكستان إسراء النبي صلى الله عليه وسلم فقد اتخذه محمد أفضل فقير موضوعاً لشعره (٤١) والدكتور ظهور أحمد أظهر حيث قال :

فطوى الفضاء بدره وذكائه	أسرى الإله بعده في ليلة
لمسجد مبارك بفنائه	فسرى الرسول بجسمه من مسجد
من سريه والقدس من إسرائيه	فطوى المسافة مسرعاً في لمحه
فسمابه في طرفة بسمائه (٤٢)	ودعا الملوك حبيبه ليجله

ومن الشعراء الباكستانيين الذين اتخذوا إسراء النبي صلى الله عليه وسلم موضوعاً للوصف الأستاذ محمد حسين القادرى (٤٣) والمفتى جميل أحمد التهانوى (٤٤) و محمد إدريس الكاندھلوی (٤٥) وعبدالمنان الدھلوی (٤٦).

وغزوة بدر من تلك الأحداث التي اتخذها شعراء نا موضوعاً فيقول أصغر علي الروحى :

أتاك النصر يخذلهم فضوا	إذا التقى الطوائف يوم بدر
وألبسن الوجوه دمأ مسفوا	أيا "قتلى قريش" يوم بدر
كان من الدّمّالهم مسوحا	ترك القوم في الهيجاء صرعى
قبل الحرب فانتظروا ضوها	دللت على مصارعهم فرادى
وقد فتح الإله لك الفتوحا	وأن القوم لم يالوا خبلا

وقد اتخذ الأستاذ محمد حسين القادرى الحرب التي نشبّت في ١٩٩١ م بين الهند وباكستان

موضوعاً لشعره فقال:

ولنا إذا حمي الوطيس زئير
بمدافع ومرامهم لا هور
جرحى وأسرى في الكبول وبور
وشققن أقصمة وتلك حرير
والله مال المسلمين نظير
نسعى إليه وسعينا مشكور
منصورة وعدونا مقهور (٤٧)

لأيّشت الأبطال عند لقائنا
سل جيش هند إذا أتاناثائرأ
يُخبرك من شهد القتال بأنهم
نديبت على القتلى النساء سوافرا
قالت جيوش الهند بعد هزيمة
إنما إذا نادى المضاف لنجلة
أياماً مشهورة وجيوشنا

ووصف الأستاذ القادرى أيضاً الحرب التي نشبّت بين العراق والأمريكى وأحلافها في ١٩٩١ م. (٤٩)

٥- وصف الطبيعة:

وصف الطبيعة هو أهم موضوعات الوصف في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، فالشاعر العربي لم يترك حيواناً أو مشهداً دون أن يصوّره أو يرسمه فوصفوا من الطبيعة الميتة الأطلال والصحراء والليل والسحب والمطر والأزهار والشمار وغيرها ومن الطبيعة الحية الإبل والناقة والفرس والثور الوحشي والأسد وغيرها.

أما وصف الطبيعة في الشعر العربي الباكستاني فهو قليل لأن بعض الشعراء الباكستانيين اتخذوا وصف الطبيعة غرضاً شعرياً فمن هذا الصدد مقالة الدكتور ضياء الحق الصوفى في وصف الشمس:

ء من الصباح إلى المساء
للنور نعم المنبع
فالأرض منها مسفرة
تجري لمسيرة رها
منزلة الأبراج
والسحر سحر مستمر
تعجبنا سناً وها
كأنه أباتير يذوب (٥٠)

الشمس في كبد السما
في كل صبح تطلع
ضاحكة مستبشرة
بنشرها وذرها
سراجنا الروحاج
جذوة نار تستعر
تهزنا ضياؤها
وقت الطلع والغروب
وله قصيدة أخرى في وصف الشمس (٥١)

وقال الشيخ سيد سليمان الندوي يصف الشمس عند مغيبها:

خمر معتقة شجت لمغبقة
شجت بماء غمام هامر غدق
وبل لمن هذه الصهباء لم يدق
إلى السماء بأقداح من الحدق
أوكارها صافرات السجع في حلق (٥٢)

كأنما الشفق الممتد في الأفق
خمر لعنقها أعلى همالية
كف الطبيعة تسقي أكؤتها
نحو القلوب حميها إذا نظرت
والطير تشربها حيناً تروح إلى

ومن وصف الطبيعة وصف الرياض فقد وصف الأستاذ محمد ناظم الندوي الروض وما يهب فيها من الريح

ومداعبها الأماليد من الغضون الناعمة الناضرة والأزهار العبة:

به الريح للأزهار في همسات
وتفسو بسر الروض مبتسمات
وتبدى رضاء النفس بالعقبات
أيروي غليل القلب بالثمات
وتأتي عليه الشمس بالنفحات
في لمع دراً ذاك بالورقات
فيطلع فيه الحب في خفقات
فتظهر ذاك السر بالنفحات
مثلاً لها بالأرض في لمعات

حديث من السر العلي تحدث
تداعبها شوقاً فتهتز نشوة
تلامسها الطفأ فترغنجة
تجاذبها حباً لتلائم ثغرها
تكللها دراً من الطل لاما
بياكرها ذر من الشمس شارق
يقابلها قلب من الحب فارغ
أسائلها سراً من الروض غامضاً
لعلّ نجوم الفلك لم ترض أن ترى

لترسل عليها الضوء باللفحات
فأوحت إلى أخت لها في سماءها
وجف بها ما كان من قطرات (٥٣)
فكان كما شاءت وزال بهاءها
وقال الشيخ محمد يوسف البنوري يصف الربيع ونسمة الصبح :

بروض جديب ظل منه سهما
أنواراً يربع بعد حين فأنعمها
بروح بأنفاس الكرام تنسم
فطاب نسمة الصبح حتى إخاله
تنفس عن وجده وبشر تنسم
تبشير صبح أونسائم رحمة
أضاءات لـ الآفاق نوراً ترسم
وإن جديباً حين يشتق للحياة
تداركـ سـ بـ الإـ لـ لـ هـ تـ رـ حـ مـا
لـ شـ مـ رـ لـ لأـ وـ طـ اـ نـ إذـ أـ مـ حلـ الـ حـ مـىـ (٤)
هي الدوحة الخضراء نرجو كمالها

ومن موضوعات الوصف في الشعر العربي الباكستاني وصف الشهور الإسلامية المباركة كرمضان
وشعban (٥٥) ووصف مشاعر الحج (٥٦) ووصف الدار الآخرة (٥٧).
هذا ونكتفي بهذه النماذج البسيطة في هذا البحث فهي غيض من فيض.

هوامش

- ١- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس. بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م، ج ١٢. ص ٥٢٣.
- ٢- الأنبياء: ١١٢.
- ٣- الأفريقي، ابن منظور: لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية ١٩٩٧م، ج ١٥، ص ٣١٥.
- ٤- أبو عمرو، شهاب الدين: القاموس الوفي. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، ص ١٢١٩، وأحمد رضا، شيخ: معجم متن اللغة. بيروت: منشورات دار معجم. ١٩٦٠م، ج ٥، ص ٧٦٦.
- ٥- طرفة بن العبد: الديوان. ص ١٥٦.
- ٦- لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف. مصر: دار المعارف (بدون التاريخ)، ص ٦.
- ٧- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٨٨٣.
- ٨- الجرجاني، علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان ١٩٦٩م، ص ٢٧٣.
- ٩- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص ٣٧٣. ج ٢، وابن قدامة: نقد الشعر. ص ١١٨.
- ١٠- آذر شب، محمد علي: الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي. تهران: سازمان مطالعه وتنمية كتب ١٣٧٥هـ، ص ٥٣.
- ١١- القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. بيروت: المكتبة العصرية ٢٠٠٤م، ص ٢٣٠.
- ١٢- لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف، ص ٦.
- ١٣- عمر، فروخ: تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م، ج ١، ص ٨١.
- ١٤- الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب. بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، ج ٣، ص ٨٣-٨٣. ومحمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب. ج ٢، ص ٨٨٤، وابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ص ٢٣٢، ج ٢.
- ١٥- لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف ص ٦.
- ١٦- الروحي، أصغر علي: الديوان. تقديم: الدكتور ظهور أحمد ظهور، لاهور: مجلة المجمع العربي الباكستاني ، المجلد الأول، العدد الثالث، ص ٤٥.
- ١٧- مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية. كراتشي: المكتبة البنورية ١٩٨٤م، ص ٧١-٧٢.
- ١٨- بشرى أسماء: "محمد ضياء الحق الصوفي ديوانه وخدماته"، رسالة الماجستير، القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور ١٩٩٥م، ص ١٧٧.
- ١٩- الأفغاني، شمس الحق: علوم القرآن، بها لغور: نشر المدرسة الفاروقية، الطبعة الأولى ١٩٦٩م، الصفحة الداخلية

- ٢٠- مجلة القسم العربي، المجلد الأول، العدد الثاني ١٩٩٦م، لاهور، ص ٨٥.
- ٢١- مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية . ص ٢٢٥-٢٢٧.
- ٢٢- مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية: ص ٤٤ وص ص ١٣٠-١٣١.
- ٢٣- مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية . ص ٢٢٤-٢٢٦.
- ٢٤- معين الحق: القصائد العربية للشيخ محمد إدريس الكاندلوبي، رسالة ايم فل ٢٠٠٨، جامعة بنجاب لاهور، ص: ٢٥٢-٢٥٠.
- ٢٥- بشري أسماء: ضياء الحق الصوفي، ديوانه وخدماته، ص ١٩٤-١٩٥.
- ٢٦- الندوی، محمد ناظم: باقة الأزهار. كراتشي. دار التأليف والترجمة. (بدون التاريخ)، ص ٨.
- ٢٧- راجع للقصيدة بأكملها : مجلة المجمع العلمي الهندي، (عدد يونيو ١٩٨٥م) الهند، ص ص ٣١٠-٣١١.
- ٢٨- راجع للقصيدة بأكملها : مجلة بینات (ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٤١٩هـ) كراتشي، ص ٦٢-٦٣.
- ٢٩- راجع للقصيدة بأكملها: مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية، ص ١٧٠-١٧٨.
- ٣٠- الهمداني، حامد أشرف (الدكتور) : "الشعر العربي في باكستان". رسالة الدكتوراه. جامعة بنجاب ، لاهور.
- ٣١- الهمداني، حامد أشرف: الشعر العربي في باكستان: ص ٤٣٥-٤٣٦.
- ٣٢- شفيع، محمد المفتى: نفحات في فضل اللغة العربية. كراتشي: إدارة المعارف، رجب ١٣٩٣هـ، ص ٩٠.
- ٣٣- أصغر علي الروحي: الديوان؛ تقديم ظهور أحمد أظهر (الدكتور): مجلة المجمع العربي الباكستاني المجلد الأول، العدد الثالث، ص ١٠٧-١٠٨.
- ٣٤- المرجع نفسه، ص ٥٣.
- ٣٥- قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبئي. إسلام آباد. منشورات محمد جميل قلندر، الطبعة الأولى ١٩٧٨م، ص ٥٣-٥١.
- ٣٦- فيوض الرحمن، الدكتور: معاصرین إقبال (باللغة الأردية). لاهور: نيشنل بلک سروس (بدون التاريخ)، ص ٦٦٤-٦٦٥.
- ٣٧- فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء دیوبند (باللغة الأردية) ، لاهور: فرنٹر بیلشرز (بدون التاريخ)، ج ٤، ص ١٩.
- ٣٨- راجع للقصيدة بأكملها: الندوی، محمد ناظم: باقة الأزهار، ص ٢٤-٢٥.
- ٣٩- قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبئي، ص ٤٠-٤١.
- ٤٠- قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبئي، ص ٣٣.
- ٤١- راجع للقصيدة: فقیر، محمد أفضل: شایب الرحمة. تقديم: ظهور أحمد أظهر. لاهور: مکتبہ کاروان (بدون

- التاريخ)، ص ٥٨-٥٩.
- ٤٢- أظهر، ظهور أحمد (الدكتور): مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد الأول ، العدد الثالث، لاهور، ص ٦٦.
- ٤٣- القادري، محمد حسين: حديث النفس. لاهور: المجمع العربي الباكستاني ١٩٩٥م، ص ٣٤-٣٥.
- ٤٤- مجلة الرشيد ، العدد الخاص بالمديح النبوى، لاهور ١٤١١هـ، ص ١٣٥-١٣٨.
- ٤٥- مجلة الرشيد، ص ٢٥٣-٢٥٥.
- ٤٦- مجلة الرشيد، ص ٢٤٨-٢٥١.
- ٤٧- الروحي، أصغر علي: الديوان. مجلة المجمع العربي الباكستاني. ص ٥٨-٥٩.
- ٤٨- القادري، محمد حسين: حديث النفس ، ص ٧١-٧٢.
- ٤٩- القادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٨٣-٨٦.
- ٥٠- بشرى أسماء "د. محمد ضياء الحق الصوفى" ، ديوانه وخدماته": ص ٢٠١-٢٠٢.
- ٥١- بشرى أسماء: الدكتور ضياء الحق الصوفى "ديوانه وخدماته" ص ٢٠٣.
- ٥٢- عبدالله، محمود محمد: آداب اللغة العربية في باكستان. رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، لاهور ١٩٨٢م، ص ٤٣٩.
- ٥٣- الندوى، محمد ناظم: باقة الأزهار، ص ٣٠-٣١.
- ٥٤- مختار ، محمد حبيب الله: القصائد البنورية، ص ٢٥٣-٢٥٤.
- ٥٥- القادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٤٨-٤٩.
- ٥٦- القادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٥٣-٥٥ والندوى، محمد ناظم : باقة الأزهار، ص ٧ و ص ٣٠-٢٩.
- ٥٧- الجلاسي، غلام النصیر: البيان في شهر رمضان، الطبعة الثانية ، راولبندي ، مطبعة أسد محمود، هـ ١٤٢٣، ص ٢٩٨-٣٠٠، وفقيه ، محمد أفضل الحافظ: شأیب الرحمة، ص ٤٩، والقادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٤٧